فنون الحب في الإسلام

رضا الجنيدي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net

فنون الحب في الإسلام

تأليف

رضا الجنيدي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تصميم الغلاف

مروة المنادي

حقوق الطبع والنشر محفوظة لكل مسلم ومسلمة

بشرط عدم التبديل أو الإضافة أو الحذف مِن الكتاب.

www.alukah.net

شبكة الألوكة

إهداء

إلى القلوب المُحِبة، وإلى القلوب التي لم تُدرك حتى الآن أنَّ ديننا كُله محبة.

إلى كل قلب ينبض بالمشاعر الدافئة ويعيش في روضاتِها، وإلى كل قلب شغلته دوامة الحياة فنسي أنَّ الحب هو ماء الحياة ونبض إحساسِها.

تذكروا أنَّ كل جميل وطاهر مِن أنواع الحب موجود في ديننا، بل هو خير نؤجر عليه ونجني ثمرته في دنيانا وآخرتنا؛ فلنجدد نوايانا ولنحيا بالحب الإيجابي لِنُسعد قلوبنا وقلوب مَن حولنا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مقدمة

عندما تعمَّق القلب في اكتشاف معاني الحب في الإسلام انبهر بهذا العالم المملوء بالرقة والجمال؛ فخط قلمي وقلبي هذا الكتاب لأهديه إليكم فأرجو أنْ تتقبلوا هديتى بكل الحب، وأنْ تنثروا في قلوبكم وقلوب مَن حولكم رياحين الحب، وأنْ تتذكروا دائما إنَّ ديننا دين المودة والحب.

أمطار الحب

كم مرة اشتاقت نفسُك إلى لَمسةٍ حانيةٍ من يدِ حبيبِك؛ لتُعيد إليك الإحساس برَوْنق الحياة!

وكم مرة تاقَتْ أذنُك إلى سماعِ كلمة أُحبُّك من قلبٍ تحبه نفسُك وتهواه!

ماذا لو رأيتَ مَن جعلتَ له قلبَك وطنًا يسكنُه ويعيش في رحابه يُفاجِئك بكلمةٍ حنونٍ كلُّها حب، ولَمسةٍ دافئة كلُّها رحمة ووُد؟!

ماذا لو صاحَب هذه الكلماتِ قَسَمٌ يُخبِرك مِن خلاله أنَّ لك في قلبهِ مكانًا وموضعًا؟!

أي مشاعر ستنتابك لحظتها، بل وأي فرحة ستغمرك وتُسعد مُهجَتك؟!

فلنَعُدْ بذاكرتنا إلى الماضي البعيد، هناك في المدينةِ المنورةِ؛ حيث كان يعيش النبي.

في ذلك اليوم الذي أشرقَتْ أنوارُه على قلبِ معاذ بن جبل -رضي الله عنه- حين أمسَكَ النبيُّ ﷺ فجأةً بيدَيْه، ثم قال له: "يا معاذُ، واللهِ إنِّي لأُحبُّك، والله إنّي لأحبك"

تُرى كيف كان إحساسُ معاذٍ -رضي الله عنه- في هذه اللحظة؟!

كيف استقبلَتْ يداه هذه اللمسةَ الحانيةَ، وكيف داعبَتْ أذنَيْه هذه الكلماتُ الدافئة، بل وكيف كان حال نبض قلبه وهو يمرُّ بهذه الأحاسيس الرائعة؟!

سأعودُ معكم الآن بالزمن إلى هذه اللحظاتِ التي نعيشُها؛ لأسأل كل مَن يقرأ كلماتي هذه سؤالًا بسيطًا، ولكنه سيكشف لنا أبعادًا عميقة في حقيقة عَلاقاتنا:

تُرى مَنْ أحبُّ الناس إلى قلبك ممَّن حولك؟

والداك؟ شريك حياتك زوجةً أو زوجًا؟ أولادك؟ أصدقاء العمر؟

تُرى هل تُعبِّر لهم عن حبِّك هذا بالكلمات واللمسات، أم أنَّك تحتفظُ بالحب داخل قلبك وأنت على يقينٍ أنَّك لا تُقصِّر في حقوقهم العاطفية؛ لأنك تمنحهم مِن الأفعال كلَّ ما هو لطيف وجميل؟

أتعتقد أنَّ هذا وحدَه يكفي؟!

أتظن أنَّ كل النفوس تُشبِع الأفعالُ الجميلة وحدَها ظمأَ قلبها؟

لو كان الأمر كذلك فَلِمَ عبَّر النبي ﷺ لمعاذٍ عن حبه بالكلمات الدافئة، واللمسة الحانية؟!

إنَّ للحبِّ فنونًا عميقة ودقيقة لا يُتقِنها إلا القليلون، ولربما كان عدم إتقان هذه الفنون سببًا رئيسًا لانقطاعِ حلقات التواصل الإيجابيِّ بين الكثيرين ممَّن تجمعهم عَلاقات قوية وأساسية في الحياة؛ كالعَلاقات الزوجية، فإذا بالزوجين اللذين كان يحمل كلٌّ منهما عظيمَ الحب للآخر، إذا بهما ينفصلان نفسيًّا رغم ما بينهما من مشاعر؛ لأنها مشاعر مدفونة، غطاها التراب ووراها الثرى، فصارت بلا طعم ولا تأثير.

فماذا لو اقتدى كلُّ زوج برسول الله - ﷺ - وانطلق إلى شريك الحياة باسمًا، فأخذ بيدَيْه بدفء قائلًا له: "واللهِ إني لأُحِبُّك"؟

أظنُّها ستكون هديةً رائعة لقلوبٍ عَطْشَى للحب، تَتُوق لسماع مثل هذه الكلمات الحنون مِن أقرب الناس إليها.

زوجتُك زهرةٌ نديَّة تحتاج مَن يرويها لتنتعش وتتفتح أنوثتها لك، زوجتك لن تجد مَن يروي هذا الظمأ غيرك أنت، فلا تبخَلْ عليها ولا على نفسك بهذه اللحظات التي ستُعيد إليكما الحياة.

وأنتِ أيتها الزوجة الذكية، ماذا يمنعُكِ أنْ تقوليها لزوجِك بمنتهى الحب والرقة، وغيرُكِ مِن العاشقات يغمُرْن بها آذانَ عُشَّاقهن في الحرام؟!

قولِيها له بحبٍّ، ولا تتْبعيها بعتاب أو بقائمة لطلبات المنزل، اجعَلِيها خالصةً مُخلَّصة لله، وانتظري ثمارَها ولو بعد حينٍ، وتذكَّري أنَّ الشجرةَ لا تطرح ثمارها بعد أول ريَّة لها، بل تحتاج إلى مرات ومرات لكي تنبض مرة أخرى بالحياة.

"واللهِ إني لأُحِبُّك"، كلمةٌ لو أخلصنا النيَّة ونحن نقولها، لربما أعادت النبض إلى قلوب الأزواج والزوجات، وأعادت دماء الحب في عروقهم مِن جديد.

وأنت أيها الوالد الكريم، هل جرَّبت أن تضمَّ يد أبنائك إليك بحبٍّ لتُخبِرهم بأنك تحبُّهم؟

تحبهم حبًّا غيرَ مشروط.. تُشعرهم أنك تحبهم وإنْ كان فيهم من العيوب ما فيهم؛ فالحب الفيَّاض داخل قلبك يجعلُك تحتوي أخطاءهم، وتقفُ إلى جوارهم حتى يتخلَّصوا مِن هذه العيوب دون عناء الخوف مِن افتقاد الحب والاحتواء، ودون الوقوع تحت طائلة الحب المشروط.. تخبرهم بحبِّك، وتُشعرهم بهذه الكلمة الطيبة أنَّك لهم سماءٌ تُظِلُّهم، وأرض تأويهم وتضمُّهم، حتى وإن بدا منهم بعضُ التقصير.

لو اتَّبع الآباءُ هذا النهجَ الإسلاميَّ، وأدركوا أنَّ كثيرًا مِن الأخطاء يُعالَج بالحب والرحمة والود، لَما رأينا شبابنا انغمسوا في الحرام، وأصروا على العقوق والعصيان.

انظر أيها الوالد الكريم كيف قدَّم النبي ﷺ النصيحة لمعاذ بن جبل وهو في سن الشباب.. لقد قال له: "يا معاذُ، واللهِ إنِّي لأُحبُّك، والله إني لأحبك"، ثم قال له بمنتهى الرفق وبكلمات معدودةٍ: "أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ: لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِك."

لقد مهَّد للنصيحة بالحب، وأكَّد الحب بالقَسَم، وأكَّد القسم بالحب بتكراره، ثم ذيَّل ذلك كلَّه بنصيحة خفيفة، وكأنَّها رسالةٌ تربوية من سيِّد المربِّين ﷺ يقول لنا فيها:

حين تنصَحُ ولدك، أو تلميذك، أو أيًّا مِن البشر، قدِّم للنصيحة بشيءٍ يكسِرُ أيَّ حاجز نفسيٍّ سلبي؛ فالنصح ثقيل على النفس، مهِّد لها بنثرِ زهور الحب في عقل المتلقِّي؛ كي تتقبَّل نفسه ما يتلقاه من كلماتك، ولا يضع عقلُه الحواجزَ النفسية أمام نصائحك وتوجيهاتك.

الحب غِلاف راقٍ وجذَّاب، يجعل النصيحة هدية مقبولة، بل ومحبوبة، فلا تحرِمْ أبناءك من النصح الجميل.

والآن فتِّش في صفحات عَلاقتك بأبنائك، وانظر هل اعتراها الفتورُ أو اللامبالاة مِن قِبَلِهم؟

هل تمزَّقَتْ بعضُ الأواصرِ التي تجمَعُك بهم؟

هل تُعاني مِن عقوقهم، وعدم اكتراثِهم بتوجيهاتك ونصائحك؟

إنْ كان الأمر كذلك، فجرِّب أنْ تستخدم كلمات الحب، ومؤكَّدٌ أنها ستُعيد إلى هذه الصفحات رَوْنقَها وضياءها ولو بعد حين.

دعُونا الآن ننتقل من دائرة الأسرة إلى خارجها قليلًا؛ حيث الأصدقاء الذين تجدُ في كَنَفِهم السلام والراحة العميقة، والشعور بعَبَق الذكريات الرقيقة.

اتَّصِل بصديق العمر، قل له: أحبك.

اجعَلْها كلمةً عميقة تخرُجُ مِن القلب، وثِقْ أنَّ مردودَها سيكون جميلًا، وسيوطد الحب بينكما، قُلْها دون تردد ودون خجل، فليس في الدنيا كصديقٍ يشغَلُه حالك، ويهتم لأمرك، صديق يعتبر سعادتك جزءًا مِن سعادته، وحزنك أكبرَ أسباب تعاسته، أفلا يستحق مثل هذا الصديق أنْ تقولَ له بحب وبصدق: "واللهِ إنِّي لأُحبُّك"؟!

قولوها ولا تتردَّدوا.

أخبِروا بها أزواجكم، وزوجاتِكم، وأبناءكم وأصدقاءكم.

أخبروا بها كل مَن له في قلوبكم موضع.

وضَعُوا في حسبانكم أنَّ الحب له فنون كثيرة، وله براهينُ يُستَدَل بها عليه، فمَن يُصِر على أنَّ الحب أفعال فحسب فهو غير مُلِمٍّ بالأساليب النبوية والفنون الإسلامية في التعبير عن الحب.

قولوها بقوة وحيوية، وتذكَّروا أنَّ الحب لو كان أفعالًا فحسب، لاكتفى النبي –صلى الله عليه وسلم– بعظيم أفعاله، وجميل تصرفاته، مع زوجاته وأصحابه وأحبابه.

لو كان الحب أفعالًا فحسب، لَما سمِعنا حديث الحب الذي دار بين النبي ﷺ وبين معاذ –رضي الله عنه– ولَما وجدناه يقول له: "واللهِ إنّي لأُحبُّك."

للحب فنون عميقة فأتقِنوها، ولا تجعلوا الحياة تمضي بينكم وبين أحبابكم وكأنكم تعيشون في صحراء جرداء، أفيضوا على قلوب أحبابكم بماء التعبير عن المشاعر؛ لتنموَ زهورُ المودة والرحمة والتفاهم، ولتُزهِر أشجارُ العَلاقات الإنسانية بينكم وبين مَن حولكم عن أطيب الثمر بإذن الله.

وتذكَّروا القاعدة الأولى مِن قواعد وفنون الحب في الإسلام:

كلمات الحب الدافئة غيثٌ ينزل على الأرض الميتة فيُحْييها بإذن الله؛ فأَحْيُوا قلوبَ أحبابكم بأمطار الحب، تَسْعَدوا.

سحر اللمسات

حنَّ إلى الحبيب حين فارَقَه وزاد إليه الشوق، ومن شدة اشتياقه وحنينه ظلَّ يئنُّ وكأن خلاياه تنشقُّ؛ فلمسه الحبيب بيده الشريفةِ واحتضنه فهَدَأَ واستكان.

عن جذعِ نخلةٍ كان يستند إليه النبيُّ ﷺ في خُطَبِه أتحدثُ، فلما صُنِعَ له منبرٌ، افتقد الجذعُ لمسات النبيِّ ﷺ له؛ فجزع وحلَّت عليه الأحزان.

جذع نخلة يفتقد لمسات الحبِّ من حبيبه فيتألَّم، فما بالنا بالإنسان؟!

وكأنها رسالة من الحبيب ﷺ لنا: ألَّا تفرِّطوا في اللمسات الحانية، والأحضان الدافئة لمن يحبُّكم وتحبُّونه؛ فلمسةٌ حانية، وحضن دافئ بإمكانهما إعادة السكينة إلى النفوس المتعبَة، والقلوب التي صارت بالهموم مثقلة، بل هما يَحفِران طريقًا في القلب ليجري فيه نهر الحبِّ عذبًا رقراقًا بسلاسةٍ ويسر، ودون عوائقَ تعكِّر صفو ماء هذا النهر. اللمسات المُحِبَّة، والأحضان الطيبة تستطيع أن تغيِّر كمياء النفس، فتُحفِّز الجسم على إفراز هرمونات السعادة؛ لتتحول النفس من حالٍ إلى حال في لحظات معدودات، فيزول التوتُّر، ويتوارى القلق، وتهدأ نوبات الحزن، وتتناقص علامات الاكتئاب فهل استشعَرْنا قيمة هذا الفنِّ من فنون التعبير عن الحب؟

وهل انتبهنا لهذه النفوس التي تحبُّنا من كلِّ قلبها ونحن قد نغفُل كثيرًا عن إشباعها؟

أيها القارئ الكريم، ألا تشعر أنَّ بالقرب منك، وربما على بُعدِ خطوات يجلس قلب طفل، أو قلب والد أو والدة، أو زوجة أو زوج، يفتقد لمساتك الحنون، وحضنك العطوف؟

يشتاق إلى ضمةٍ تعيد له توازنه النفسيَّ؟

يحتاج إلى حضن يقلِّل من توتُّره وقلقه واكتئابه؟

ربَّما تتعجَّب وتظنُّ أنَّ كلامي ضربٌ من الخيال، ونوعٌ من المبالغة التي تسيطر على أقلام بعض الكُتَّاب، ولكنها الحقيقة العلمية التي تؤكِّد لنا أننا حين نحتضن من نحبُّهم ويحبُّوننا، فإن عددًا من الهرمونات - التي يسمِّيها العلماء: هرمونات السعادة والثقة - تتحفَّز لدينا ولديهم، وتُفرز بقوة؛ لنصبح أكثر هدوءًا وسكينةً وسعادة في لحظات!

لقد كان النبيُّ ﷺ يقبِّل حفيدَيْه الحسنَ والحسين، ويصف مَن لا يقبِّل أبناءه بأنَّ الرحمة قد نُزعت منه، بل وكان يقوم إلى فاطمة رضي الله عنها فيأخذ بيدها ويقبِّلها بين عينيها ويُشعرها بالحبِّ والاهتمام... تصف لنا السيدة عائشة علاقة الحبِّ الأبويِّ الرائع بين النبيِّ ﷺ وفاطمةَ رضي الله عنها فتقول: "كانت إذا دخلت عليه،

قام إليها فأخذ بيدها، وقبَّلها، وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها، قامت إليه، فأخذت بيده فقبَّلته، وأجلسته في مجلسها" رواه أبو داود، وصحَّحه الألباني.

وكأنها رسالة لكلِ أب وأمٍ: أنْ قبِّلوا أبناءكم، واهتمُّوا بنفسياتهم، وأظهِروا الفرح عند لقائهم؛ ففي ذلك حياةٌ لقلوب الأبناء، ومشاعر تُحلِّق بهم في عنان السماء.. في تقبيل الأبناء واحتضانهم عالَمٌ من الثقة يقفز إلى نفوسهم، وعالمٌ من الأمان يحتضن أيامهم.

لذلك قم واحتضن أبناءك دون مقدِّمات؛ فاحتضان الطفل يزيد من قوة جهازه المناعيّ، ويزيد من قدرته على النمو، ويرفع معدلاتِ ذكائه، بل ويساعد في وقايته من بعض الأمراض الجسدية والنفسية.

في احتضانك المستمرِ لأبنائك رسالةٌ ضمنية تصل إلى عقولهم وقلوبهم، مضمونُها: أنِّي أحبُّك بقوة وعمق؛ مما يجعلهم أكثر إقبالًا على الحياة، وأكثر رغبةً في طاعتك وإسعادك.

اغمروا أبناءكم بقبلات وأحضان ولمساتِ الحبِّ؛ فستصبح هذه الأحضان ذات يوم ذكرى جميلةً، يبتسمون ويستعيدون الإحساس بروعتها كلما تذكَّروها حين نغيب نحن عن الحياة.

هذا عن أبنائك.. ولكن ماذا عن هذين القلبين الجميلين اللذَيْن كنتَ لهما ذات يوم طفلًا صغيرًا يشبعانه بالحنان، ويغمرانه بالأحضان، ويمنحانه ما يستطيعانه من رعايةٍ واهتمام؟

أرأيت كيف كانت فاطمة رضي الله عنها تقوم لأبيها، وتأخذ بيده، وتقبِّله، وتجلسه في مجلسها؟

احتضن والديك، ولا تبخل عليهما بهذه الأحضان التي كانا يغمرانك بمثلها في صغرك؛ فَهُم الآن قد كَبِر سنُّهما، ووهن عظمهما، ويمرَّان بمشاعر يملؤها الحاجة إلى الحبِّ والتقبيل والاحتواء.

سارِعْ بالذهاب إليهما، والارتماء في أحضانهما، وتقبيل أيديهما ورأسيهما.. افعل ذلك بحبٍّ وحنان، وانتظر بركات هذا الفعل وهذه اللحظات.

والآن دعونا ننتقل إلى الحياة الزوجية من خلال موقفٍ واحد فحسب.. أتذكُرون كيف مات النبيُّ ﷺ؟

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها في الحديث المتفق عليه: " فلمَّا كان يومي، قَبَضَهُ الله بين سَحْرِي ونَحْرِي" أي: على صدرها.

أرأيتم عمق الحبِّ وقوته؟

أرأيتم كيف أنَّ للاحتضان قيمةً كبرى في النفس حتى في أصعب اللحظات وأشدِّها على الإنسان؟

*الاحتضان الدافئ لغةُ حبٍّ وتواصل قويةٌ تختصر المسافات بين الأزواج والزوجات، وتذيب الجليد الذي يُغلِّف بعضَ هذه العلاقات؛ فليسارع كلُّ زوج بالإقبال على شريك الحياة، وليحتضنه بقوَّة وحنان دون مقدِّمات أو مبرِّرات.

قم واحتضن زوجتك؛ ففي احتضانك المستمرِّ لها رسالةٌ كلُّها حبٌّ وتقدير، وراحة نفسية، وشعور بالاطمئنان؛ نتيجة لإفراز هرمون السيروتونين، وهو ما يُعرف بهرمون السعادة، الذي يزيد إفرازه وقت الاحتضان، والذي يسبِّب نقصُه التقلُّباتِ النفسية، وحدَّةَ المزاج، والميل للرغبة في الوحدة، والشعور بالاكتئاب.

احتضانك لزوجتك يقلِّل من حِدَّة المشاعر السلبية، وأعراض الاكتئاب والتوتُّر لديها في أوقات الحيض والحمل والنفاس؛ مما ينعكس عليك أنت، ويجعلك أكثر راحةً وهدوءًا وسكينة، احتضِنْها بحبٍّ وستنطلق هرمونات السعادة لديك كذلك، وستنعم بلحظات هانئةٍ وجميلة بإذن الله.

وأنتِ أيتها الزوجة الفاضلة، لا تنتظري أنْ يقترب زوجك منك ليحتضنَكِ، احتضنيه أنت بحبٍّ.. اربتي على كتفيه بحنان حين يعود من العمل مثقلًا بالهموم؛

ففي هذه اللمسات الدافئة والأحضان الطيبة تحفيزٌ لهرمون العناق أو هرمون النعيم كما يفضِّل أن يسمِّيه البعض، وهو هرمون الأوكسيتوسين الذي يمنح الرجلَ الكثيرَ من الشعور بالسعادة والحبِّ، ويجعله أكثر قدرةً على التفاعل النفسيِّ معك، ويمنحه المزيد من الراحة والأمل، ويخفِّف عنه وطأةَ ضغوط العمل، واعلمي أن الجزاء من جنس العمل؛ فحين تَمْنَحين الحبَّ تنالين الحب، وحين تُقدِّمين السعادة، فإن نفس الهرمون يُفرز لديك، وتحصلين على السعادة.

احتضنوا أزواجكم وزوجاتكم، وأكثِروا من الاحتضان، ولا تبخلوا عليهم وعلى أنفسكم بهذه الفوائد والنِّعم الربَّانية، واجعلوا هذه اللمسات وسيلةً لإحياء الحبِّ في القلوب، وإزالة الرواسب النفسية التي تعيق دماء السعادة عن الجريان في شرايين النفوس ووسيلة لإحياء سنةٍ من سنن النبيِّ ﷺ في التعامل مع من نحبُّهم.

احتضنوا أحبابكم كذلك في حال مرضهم؛ فالاحتضان يزيد من فرصة إفراز هرمون الأندروفين، الذي يعمل كمسكن طبيعيٍّ للآلام.. احتضنوهم واجعلوا هذا الاحتضان وسيلةً لتخفيف الألم بإذن الله.

احتضنوا أحبابكم بحبٍّ؛ فالاحتضان راحة للنفوس، وحياة للقلوب، وتذكَّروا القاعدة الثانية مِن قواعد وفنون الحبِّ في الإسلام، التي تؤكِّد أن التقبيلَ والاحتضان

واللمسات الدافئة لأزواجنا وزوجاتنا، وأبنائنا وبناتنا، وآبائنا وأمهاتنا - سِحرٌ حلال، يغيِّر حياتنا الاجتماعية، وحالتنا النفسيَّة من حال إلى حال، وشمسٌ مشرقة تنشر الدفء في النفوس والأجسام، فلا تحرِموا أنفسكم ومَن تحبُّون مِن هذا السِّحر الحلال.

إيجابية الحب

كان عكرمةُ بن أبي جهل مِن أشدِّ أعداء الإسلام، خاض المعارك ضد المسلمين بضراوةٍ وشراسة، وعندما فتح النبيُّ ﷺ مكة، أهدَر دمَه، وأمَر بقتلِه، ولو تعلَّق على أستار الكعبة، بالرغم من أنه عفا عن مشركِيها؛ وذلك لعظيم عداوته للإسلام والمسلمين.

هرَب عكرمة وركِب إحدى السفن المتجهة إلى اليمن؛ خوفًا من هدر دمه، بعدما أعزَّ الله الإسلام والمسلمين، ولم يعُدْ هناك قوة تُذكر للمشركين.

فماذا فعلت الزوجةُ المحبةُ لزوجها، أمُّ حكيم بنت الحارث؟

هل تترك زوجها يُقتَل، أم تتحمل ألم بُعدِه عنها وشتاته في الأرض؟

هل تستطيع أن تتحمل سوء خاتمته، وعاقبةَ شركه، إن هو أصر على الشرك؟

هل تتركه لشيطانه يتحكم فيه، ولهوى نفسه ليُضلَّه وعن الحق يَثنيه؟

لقد تعلَّمت بالفطرة أن الحب عطاء، وأن الحب لا تقف حدودُه عند الأقوال، ومشاركةِ الحبيب لحظات السعادة في أوقات الانسجام، بل يتعدَّى ذلك إلى إنقاذ المحبوب من نفسه إن ضلَّ الطريق وحاد عن جادَّة الصواب.

لقد ذاقَتْ حلاوة الإيمان، وعلِمت أنَّه من كمال الإيمان أن يحبَّ المسلمُ لأخيه ما يحب لنفسه، ومِن كمال الحب في الإسلام أن يحمي الحبيب محبوبَه من نفسه إذا أمرَتْه بما فيه فسادُه أو هلاكه؛ لذلك فقد عقَدَت النيةَ على الوقوف إلى جوار زوجها حتى تُعيده إلى الحق، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ تطلب منه أن يعفوَ عن زوجها وابن عمِّها وحبيبِ قلبها، فاستجاب لها النبيُّ ﷺ، وقدَّر لها عظيم حبها لزوجها، وجميلَ حرصها عليه.

انطلقت أمُّ حكيم فرِحةً مسرعة، فقطعت الصحراء باحثةً عن عكرمة، مُعرِّضة نفسها للمخاطر الجِسام، حتى وصلت إليه بعد طول عناءٍ، وبعد مكابدة طول الطريق ووحشته، ووَعْثَاءِ السفر وقسوته، فأقنَعَتْه بالعودة إلى مكة والدخول في الإسلام، وعاد عكرمة إلى النبي ﷺ، فسأله عن الإسلام، وأسلَمَ وحسُن إسلامه، وعادت الحياة بين الزوجين صافيةً، تجمعهم أواصر الحب، وقوةُ العقيدة والإيمان، وظل عكرمة يدافع عن الإسلام حتى مات شهيدًا.

وهكذا نُقشت على صفحات التاريخ الإسلاميِّ كلمةُ الحب الإيجابي؛ لتُعلِن لنا أن الحب مواقفُ.

الحب في الإسلام لا يُسمَّى حبًّا إلا حين تقف في ظهر محبوبِك في لحظات سقوطه فتُثبته، وفي لحظات ضياعه فتُنقِذه، وتصبح بإيجابيتك سببًا لهدايته، فتأخذ بيدِه حتى تردَّه إلى الله، وتُعيد للقلب استقامته.

هذا هو الحب نفسه الذي جعل سعد بن معاذ حين عانقت حلاوةُ الإسلام نبضَ قلبه، جعله ذلك يخشى على قومه، ويرجو لهم هذه الخيرات التي نالها، وتلك الحلاوة التي ذاقها، ولأنَّه يعلم مكانته في قلوبهم، وسيادة كلمته عليهم، انطلاقًا من الحب والاحترام، فقد هرول إلى قومه من بني عبدالأشهل، قائلًا لهم بكل الحب: كيف تعلمون أمري فيكم؟

قالوا: سيدنا فضلًا، وأيمنُنَا نقيبة.

قال: فإن كلامكم عليَّ حرامٌ، رجالكم ونساؤكم، حتى تؤمنوا بالله ورسوله!

هذه هي كلماته لهم، فهل تعلمون ماذا حدث بعد كلماته تلك؟

لم يبقَ رجل ولا امرأة في تلك الليلة في دار بني عبدالأشهل إلا وقد أسلم!

أرأيتم كيف أنَّه لم يكتفِ بما وصل إلى قلبه من هداية وخير، بل دفعه الحبُّ لحماية قومه من أنفسهم، فلما صدَق النية مع الله، بلَّغه الله مُراده بسهولة ويسر.

تلك هي الإيجابية التي تجعل المُحب يتخطَّى حدود ذاته؛ ليجدَ سعادته في سعادة وهداية أحبابه.

تلك هي إيجابية الحب نفسُها، التي جعلت أبا هريرة رضي الله عنه يبكي على أمه حين حاول أن يَهديَها إلى الإسلام فأبَتْ، بل أسمعَتْه سبًّا وقدحًا، وكلامًا سيئًا في رسول الله ﷺ، فذهب إلى النبي ﷺ يبكي، ويطلُب منه أن يدعو لأمِّه بالهداية، فدعا لها، فأسلمت.

إنَّه الحب الذي يجعلنا نُفكِّر في حال أحبابنا في الآخرة، فليست الدنيا هي كلَّ همِّنا، الحب لدى المؤمنين طاقةُ عطاءٍ إيجابيةٌ، إيجابية تجعل الحبيب يُكابِد الصعاب حتى يطمئنَّ على قلوب وإيمانِ أحبابه.

الإيجابية التي تجعلك سببًا في هدايةِ مَن تحب، ويدًا تأخذ بيده إلى الجنة، إيجابية تجعلك لا تتركه لنفسه ولشيطانه مهما كانت قوة سقطته، ومهما كان عِظَم زلَّته؛ لأنك تعرِف أنَّ للنفس البشرية دائمًا سقطاتٍ وهفوات، إن خضع لها الإنسان ربما نسِي نفسه، وزاد في التوغُّل فيها إلى حد الغرق، فتزداد مهمة انتشاله من هذا المستنقع صعوبةً.

ولأنك تعرف أنَّ الحب في الإسلام يجعل المحب سباحًا ماهرًا يعرف كيف يغوص بقوة وذكاء لينتشلَ حبيبه مِن وَحَلِ المعصية، ويعيده إلى الحياة الصافية؛ لذلك إذا وجدت أحد أبنائك يَغرَقُ في المعاصي، لا تُغلِق بابك في وجهه، بل تودَّد إليه، وتقرَّب منه، وأكثِر من دعائك له، كن معه حتى يعود إليه رشده بإذن الله، وحتى يعود إليه النبض الحقيقيُّ للحياة، لا تنظر إليه نظر القاضي إلى المتهم المُدان، بل انظر إليه نظر الطبيب المُشفِق إلى المريض الذي يعاني أشدَّ الآلام، وقتها ستُثمِر دعوتك، وتُزهِر إيجابيَّتك، ويَسْعَد قلبك حين ترى ابنك وقد عاد إلى الله مهرولًا، ومِن ذنوبه تائبًا ونادمًا.

وأنتِ أيتها الزوجة الرائعة، إذا وجدتِ زوجَكِ صاحبَ الدين والخلق قد سقط فجأةً في بئر النزوات، فلا تتركِيه لنفسه إذا كنتِ له حقًّا مُحبة؛ فالحب الحقيقي إيجابية، وليس خضوعًا لاعتبارات ذاتية.

كوني وراءه حتى يعود إلى الله سالِمًا، وبعدها ستجدين ثورةَ نفسِك قد هدأت؛ لأنك ستدركين أن ما فعله زوجُك لم يفعله كراهية لكِ، أو انتقاصًا من قدرِكِ، ولا انحرافًا منه، ولا عادةً له اعتادها، بل هي لحظاتُ ضعف تمكَّن فيها الشيطانُ منه، فهل يليق بزوجة مسلمة مُحبة أن تترك زوجها للشيطان؟!

وأنتَ أيها الزوج الحكيم، إذا وجدتَ زوجتَكَ قد بعُدَت عن الله تعالى، وقصَّرت في طاعتها له أو لك، لا تيأس وتتركها لنفسها، ولا تَملَّ دعوتها بالحسنى؛ ففي هدايتها هدايةٌ لأبنائكما، وسكينة لبيتكما. وتذكَّر أنَّ إيجابية الحب أنْ تشُدَّ مِن أَزْرِ مَن تحب، وتظل بجانبه حتى يعود إليه بريقُ إيمانه من جديد، لا أن تتركه لِذَاتِه ليضيع، فهل يليق بزوج مسلم مُحب أن يترك حبيبته لهوى نفسها؟

وهل يليق بزوجٍ مسلمٍ أن يهجر زوجته؛ لأنها اعتراها ضعف بشريٌّ؟ أم أنَّه من الرجولة وكمال الإيمان أن يتودَّد إليها ويحتوي ضعفها؛ حتى تعود إلى الله مُخْبِتةً كما كانت من قبل؟!

وأنت أيها الصديق الوفِيُّ، إذا وجدتَ صديقَ العمر قد انغمس في المحرَّمات، واستسلم للشهوات، لا تولِّ ظهرك عنه راحلًا، بل حاول بقدر طاقتك أن تكون له جاذبًا، فالحب الحقيقي يأخذ بطريق أتباعه إلى الجنة، والصديق الحقيقيُّ لا يرضى لصديقه بغير الإيمان والرقي .

الحب في الإسلام مملوء بالإيجابية التي تجعل الأحبة يجتمعون على غاية عظمى، وهي الالتقاء والعيش معًا في روضات الجنة في الآخرة؛ لذلك كلما حاد أحبابُكم عن الطريق تذكَّروا القاعدة الثالثة من قواعد وفنون الحب في الإسلام:

الحب إيجابية، والإيجابية تتجسَّد في أن تشُدَّ مِن أزر محبوبك، وترتقي بإيمانه كلما حاد عن الطريق وقلَّ إيمانه وهبط، أو في وَحَل الذنوب وبئر المعصية سقط؛ فكونوا إلى جوار أحبابكم حتى يعود إليهم صفاء القلب وحلاوة الإيمان، وسَلُوا الله أن يجعلكم قرةَ أعين لبعضكم البعض، وأن يجمعكم معًا في جنات الخلد.

لا تكسر العود

وقفتْ نحلةٌ على زهرةٍ نديَّةٍ، فامتصَّتْ رحيقَها بكلِّ السعادة والنَّشوة، ثم طارت لتستمتعَ بهذا الرحيق، وتصنعَ منه عسلًا مصفًّى.

فهل لاحظتَ كيف كان حالُ العود حين وقفتْ عليه النحلةُ؟ وكيف صار حالُه بعد أن رَحَلَتْ عنه؟

هل كُسِرَ أو مسَّه سوء؟

مُحال أن يحدث هذا؛ فبين النحل والزهر عَلاقةُ حُبٍّ راقية، لا محل فيها للإفساد، أو الكسر والتحطيم.

النحلة تختلف عن باقي مُحبِّي الزهور؛ فلا هي تَقْطِفها كالبشر، ولا تهجم عليها بقسوةٍ وأنانية كالجراد، ولا تتعمَّد الأخذَ دون العطاء، بل هي تنشر مِن نَفْعِها على الزَّهر كما منحها العطر، وكيف تبخل على مَن مدَّ لها يدَ العطاء، وهي الأصيلة صاحبة الوفاء؟!

يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: "والذي نَفْسُ محمد بِيَده، إنَّ مَثَلَ المؤمنِ لَكَمَثَلِ النحلةِ؛ أَكَلَتْ طَيِّبًا ووضَعَتْ طَيِّبًا، ووقَعَت فَلَم تَكْسِر ولم تُفْسِد"

هذا هو الحبُّ الراقي الذي لا مكان فيه للأنانية أو القسوة أو الهمجية..لا مكان فيه لكسر النفوس، ولا النيل من المحبوب وإذاقته مُرَّ الكؤوس، والمؤمن كالنحلة في حبِّه؛ يعلم أنَّ مِن حُسن الخُلُق أنْ يعطيَ محبوبَه كلَّ جميل كما أَخَذَ منه كلَّ جميل، وأنْ يحافظ على قلبه ومشاعرِه كما حافظت النحلةُ على عود الزَّهر حين وقفتْ عليه، فلا هي كَسَرَته، ولا هي أَفْسَدَته.

المؤمن يعلم أن الحبَّ في الإسلام لا مكان فيه للأنانية العاطفيَّة، ولا مكان فيه للقسوة أو الجحود، مهما حدث بينه وبين محبوبه من خلافٍ أو صدودٍ.. تمامًا كذلك الرجل الصالح الذي أراد أنْ يطَلِّقَ امرأته، فسُئل: لِمَ تريد أن تطلِّقَها؟

فقال: العاقل لا يهتك سِتْرَ امرأتِه، فلما طلَّقها قيل له: لِمَ طلَّقْتها؟

قال: ما لي وامرأة غيري؟!

هذا الرجل تأدَّب بآدابِ وأخلاق الإسلام، وعَلِمَ أنَّه لا ينبغي لوَفِيٍّ ولا لعاقلٍ أنْ يذُمَّ امرأتَه أمام الغُرَباء وإنْ اختَلَف معها أو فارقها، فهو لا يكسر النفوس حتى وإن تباعدت بين القلوب المسافاتُ، وإن تقطَّعت كلُّ أواصر العَلاقات.

كم هالني ما رأيت من زوجاتٍ يشتكين من كَسْرِ أزواجِهن لهن، فها هو الزوج يمتصُّ رحيقَ زهرةِ شبابِ زوجتِه.. تقف إلى جواره حتى تجعله نجمًا في مجاله، وتتحمَّل المصاعب من أجل أن تُسعدَه وترى نجاحَه، وحين يتلألأُ نَجْمُه، تلتفت هي إلى نفسها، وتفكِّر أنْ تُطلقَ قُدُرَاتِها في حدود ما أباحه الشرعُ لها، فإذا به يكسرها بقسوةٍ بالغة حين يحُطُّ من شأنها، ويسفِّه من اهتماماتها، ويتعمَّد أنْ يغضَّ الطَّرف عن أيِّ إنجازٍ لها، فلماذا أيُّها الزوج تكسر زوجتَك؟!

أليس من الحِكْمة وحسنِ العِشْرَة أن تقف إلى جوارها كما وقفت هي إلى جوارك؟

أليس من حُسن الخُلق أن تردَّ الجميلَ لمَن كانت ذات يوم شمعةً تحترقُ من أجل أن تنيرَ طريق أيامك؟

لماذا حين ابتسَمَتْ لك الحياة، وودَّعك الفقر والعناء، أَدَرْتَ ظَهْرَك لها، وبحثتَ عن غيرها؛ لتجني معها ثمارَ كفاحِها، فأفسدتَ فرحةَ زوجتِك، وكسرتَ قلبَها، وأفسدتَ حياتها؟!

وأنتِ أيتها الزوجة التي تؤلمني أخلاقُها، لقد كافح زوجُك من أجل أن يوفِّر لكِ ولأبنائكما حياةً طيبةً، فلماذا حين سقط طريحَ الفراش، تأفَّفتْ نفسُكِ منه، وثقُلتْ عليكِ رعايته؟!

لماذا كسرتِ العودَ بكلماتك الساخطة، ونظراتكِ القاسية؟!

ألم يكن زوجُك هذا ذات يومٍ زهرةً فوّاحةً تمنحك أجملَ مقوِّمات الحياة؟

ألم يُفْنِ زهرةَ شبابه مِن أجلكِ أنتِ وأبنائكما؟!

لو كان في طبعكِ الوفاء، لما كان هذا حالك معه، ولكُنْتِ تحمَّلتِ بحبٍّ وبطِيبِ خاطرٍ، ولكانت أسعدُ لحظاتِك وأجملُها حين تكونين إلى جواره تخفِّفين عنه ما هو فيه، ومِن نَبْع اهتمامك وحنانك ترويه.

وأنتما أيُّها الزوجان الطيِّبان، أرى كلًّا منكما يحمل في ثناياه حبًّا عظيمًا لشريك حياته، فلماذا حين تختلفان يكسر كلٌّ منكما عودَ صاحبه، فينعته بأبشعِ الصفات والنعوت، ويُشعره أنه لا قيمة له في هذا الوجود؟!

لماذا تمتدُّ الكلمات الجارحة لتصِفَا بها بعضكما البعض أمام أبنائكما، فتكسرا أعوادًا وأعوادًا؟!

واللهِ ما ينبغي لهذه النفوس أنْ تُلَقَّب بأنَّها كان ذات يوم في قائمة المحبِّين، وما يُتصوَّر أن يصدر مثل هذه القبائح من المؤمنين، فهلا توقَّفْنا عن كسر أعوادِ مَن أحبَبْناهم ذات يوم، حتى ولو لم يَعُدْ لهم في القلب مكانةٌ؛ فإن لم يكن حبًّا في القلب متمكِّنًا، فليكن خُلُقًا طيبًا، ووفاءً لعُمْرٍ قضاه قلبان معًا.

كسر الأعواد للأسف لا يتوقَّف عند حدود العلاقة بين الأزواج والزوجات، بل يمتدُّ كثيرًا لينال من قلوب الآباء والأُمَّهات!

فهؤلاء أبناء اشتعلت بينهم نيرانُ الخلافات من أجل أُمِّهم وأبيهم.. أتدرون لماذا؟

ليس لأنهم يتصارعون مِن أجل أنْ يفوزَ كلٌّ منهم برعايتهما في بيته بعد أنْ نال الكِبَر منهما، واخترق المرضُ جسديهما، وصارا يَعجِزانِ عن رعاية أنفسهما.. بل يتصارعون من أجل التخلُّص منهما؛ فكلٌّ منهم يختَلِقُ الأعذار، ويسارع باتخاذ القرار، مردِّدًا بكلِّ نفورٍ واستكبار: ليس في بيتي مكانٌ لهما، وليس في وقتي متَّسَع لرعايتهما!

والله لو كان الوفاءُ يسكن قلوبَ هؤلاء الأبناء حقًّا، ما تجرَّؤوا على كسرِ عودِ مَن كانا ذات يوم شمسًا تُنِير لهم الحياة وتنشر عليهم عظيم دِفْئِها.

المحبُّ الصادق لا يكسر عود أمِّه وأبيه بعدم اهتمامه بأحوالهما واحتياجاتهما، ولا ينشغل بحياته عنهما فيطيل الغياب عليهما، بل هو دائمًا إلى جوارهما، يُضفِي عليهما البهجةَ والسعادة بحنانه، ويردُّ إليهم العطرَ أضعافًا، ويجعل من نفسه زهرةً نديَّة ليمتصَّا رحيقَها كما كانا يفعلان معه في الصِّغَر.

لذلك تذكَّروا القاعدةَ الرابعة من قواعدِ وفنون الحبِّ في الإسلام:

الحبُّ الصادق في الإسلام حبٌّ كلُّه رحمة ورقيٌّ، لا مكان فيه للشعور الأنانـيِّ، أو السلوك الهمجيِّ.

هو حب كلُّه عطاء ووفاء، حتى وإن خَفَتَ نورُ الحبِّ، فلا يمكن أن يَخْفِتَ نورُ الوفاء، أو أن يزول بريقُ الأخلاق؛ لذلك امنحْ حبيبَك عطرَ الحبِّ، وزِدْ في العطاء بكلِّ كيانك وخلجاتك، وإنْ غضبتَ منه أو اختلفت معه، فلا تكسر قلبَه بقسوةِ سلوكِك أو سوء كلماتك، وإنْ فارقته فليكن حسنُ الخُلُق زينة صفاتك، وإن صار بلا قدرة على البَذْل، فلا تتوقَّف أنت عن العطاء، واجعل من نفسك عنوانًا جميلًا للوفاء، وكن دائمًا كالنحلة في علاقتها بالزهر؛ تعطي طيبًا كما ذات يوم أَخَذَتْه، وما عُرف عنها أنها كسرت عودًا وقفت عليه أو أفسدته.

حتى نعود أحبابًا

جلسَتْ تتذكَّر بحسرةٍ تلك الأيامَ التي كان يغمرها فيها بحنانه الفيَّاض، ذلك الحنان الذي كان يحملُ سفينةَ مخاوفها ليرسوَ بها على شاطئ الأمان؛ فتحلو في عينيها الحياةُ رغم كلِّ ما فيها من شظفِ عيشٍ وصعاب.

كلُّ شيءٍ فيه كان ينبِضُ بالحب، حُسنُ خُلقِه معها، عطفه عليها، احتواؤه لها، الآن تبدَّدَ كل ذلك، ولم تعُد ترى منه إلا السرابَ، تحوَّل حنانه إلى غلظةٍ وقسوة، واهتمامه إلى لامبالاةٍ وغفلة!

أما هو، فقد كان يُساوره نفسُ الشعور؛ شعورُ افتقادِ الحبِّ والاهتمام؛ فقد كانت تمنحه كلَّ مشاعر الحب والاحتواء، كانت في بيتها البهجة في أَوْجِ نضارتها، والابتسامةَ في أقصى إشراقتها، الآن تبدَّل الحال إلى حالٍ آخر، فلم تعُد قسماتُ وجهِها تنبضُ برقيق الابتسامات، ولا شفتاها تنطقُ بعذب الكلمات، ولم يعُد يجد فيها الظلَّ الوارف، أو الحنانَ الجارف!

هي تُلقي باللَّوم بينها وبين نفسها عليه؛ لأنه أهملها، وغفل عنها، ونسيَ أنَّ في بيته زوجةً تحتاج إلى زوج؛ مما جعلها تدفن أنوثتها بإرادتها، وتعيش في الحياة وكأنها بالفعل بلا زوج.

وهو يُلقي باللوم عليها؛ لأنها غفلت عن احتياجاته، فأصبحت بالتالي لا تدخل في حيِّز اهتماماته، فرحل حبُّه لها، ولم تعُد تشغل الفكر أو تسكن الوجدان.

ولا يعرف أحدٌ منهما الحقيقة، لا يعرف أحدٌ منهما مَن المسؤول عن إحداث هذه الفجوة العميقة، والهوة السحيقة!

ربما لو كانت أركان بيتهما تنطق، لكشَفَت لهما الحقيقة؛ فلقد كانت خيرَ شاهدٍ على روعة علاقتهما، حين كانا يصونان هذه العلاقةَ بدفء الحب في الله، حين كان يوقظها ليلًا وهو يُداعب خصلات شعرها بحنان ليُصلِّيَا معًا في جوف الليل، ثم تسترخي بعد الصلاة بين ذراعيه ويُسبِّحا معًا، فتطرب أركان بيتهما لصوت تغريد تسبيحهما، وحين كان يغلبه النوم كانت توقظه - وهي تربت على كتفَيْه برحمةٍ وحنان - ليقضيا معًا أروعَ اللحظات في بُستان الصلاة في سكون الليل الخلَّاب.

كانا حينذاك تشملهما الرحمةُ التي وعدَهُما بها النبي ﷺ، حين قال: "رَحِمَ اللهُ رجلًا قام من الليلِ فصلَّى وأيقظ امرأتَهُ، فإن أَبَتْ نضَحَ في وجهها الماءَ، رَحِمَ اللهُ امرأةً قامت من الليل وصلَّت وأيقظت زوجَها، فإن أبى نضحت في وجهه الماءَ."

أركان بيتهما تتذكر حين كانا يحلمان معًا بغرسٍ طيِّبٍ يغرسانه معًا بأيديهما، ويرويانه مع الأيام ليصبح ذات يومٍ شجرةً وارفةَ الظلال، ملتفَّةَ الأغصان، تُؤتي أُكُلَها لكلِّ مَن تطلَّع إلى خيراتِها، وتمنح ظلَّها لكلِّ مَن استظلَّ بظلِّها، وتنشرُ خيرها لكلِّ مَن احتاج إلى خيراتِها.

الآن حين فرَّطا في عبادتهما المشتركة، وصار كلٌّ منهما يعزف ألحان أهدافه على أوتارٍ مُنفردة، انفرط عقد الترابط؛ فتسلَّل الشيطانُ إلى بيتهما من ثغرةٍ لم يضعاها في الحسبان، فتشوَّهت ملامحُ حبهما، وصمتَ صوتُ الحنانِ في بيتهما.

أركان بيتهما تُردِّد بحبٍّ واشتياق: أودُّ لو رأيتكما وأنتما تجمعكما سجدةٌ واحدة، تُخلِصان فيها الدعاء لله، وتُردِّدان بتضرعٍ وحب: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ {الفرقان: 74} .

أودُّ لو رأيتكما كما كنتما في بداية الزواج، إذا فتر أحدُكما عن الطاعة، صار الآخر له طاقة دفع إيجابية، وإن عجزت أو كسلت أقدامُ أحدكما عن السير في طريق الإيمان، صار الآخر قدمًا يسير بها حبيبُه نحو هدفه بثباتٍ واطمئنان.

إن توقَّفت يد أحدكما عن بذل الخير، أمسكت به يدُ شريكه حتى ردَّته إلى بستان الخير بحنان.

مزّقا بطاعتكما المشتركة حبالَ الشيطان؛ حتى يمتلئ البيت من جديد بالسكينة والمودَّة والأمان، وتذكَّرا أن الذئب لا يأكلُ من الغنم إلا القاصية، ولا يجرؤ على الاقتراب ممن عاشا في التحام؛ لذا إن أردتما الانتصار على عدوِّكما الذي ينصب عرشه كل يومٍ على الماء، ويحتفل بمن فرَّق بين قلوب الأزواج المتحابة في الله - إن أردتما ذلك، فتذكَّرَا القاعدة الخامسة من قواعد وفنون الحب في الإسلام، وعَضُّوا عليها بالنواجذ مهما كانت الصعاب والتحديات:

مُحالٌ أن يموت حبٌّ كانت بدايته حبًّا في الله، وطاعةً له، وتقربًا إليه، حتى لو اعترته بعض الشوائب، وغطَّت سماءه بعضُ الغيوم.

قد تضيع بعض ملامح هذا الحب، ولكن حين تنتبه القلوب من غفلتها، سيعود الحب أقوى، وستعزف الحياة أنشودةَ السعادة من جديد لقلبينِ تحابَّا في الله.

تذكرا أنَّ العباداتِ والطاعات المشتركة وقودُ العلاقات؛ كلما دامت وقويت، صار الحبُّ أعمق، وبات نسيجه أقوى، واختفت الثقوب التي تسمح للمتطفِّلين والحاقدين أن يمرُّوا من خلالها.

العبادات والطاعات المشتركة تحيي المشاعرَ المدفونة، وتعيد نبض الحبِّ في قلوب الأزواج؛ فاجتمعا معًا على العبادة لتَسْعَدَا.

ذكرتُ غيرتك فولَّيت

الحبُّ الحقيقي تظهر آثارُه على سلوك المحبِّ قبل كلماته، تظهر آثارُه حين يُراعي المحبُّ مشاعرَ حبيبه في حضوره وغيابه، فيعرف ما يُثير غضبه وحفيظته فيتجنَّبه، بل ويتجنَّب كل المُدخلات إليه؛ حتى لا يكون سببًا في ألمه وعذابه.

وهذا هو حال المحبِّين الصادقين الذين يُفكِّرون في أحبابهم كما يُفكِّرون في أنفسهم، ويسعَون إلى إسعادهم، ويتجنَّبون أيَّ بادرةٍ من شأنها أن تُعكِّر صفوَ يومهم، أو إدخال الحزن والقلق إلى نفوسهم.

وهكذا كان سيد المحبِّين محمدٌ ﷺ خيرَ من علَّم البشرية فنونَ الحبِّ الطاهر، وقواعدَ الحب القويِّ، لقد كان النبي ﷺ يحبُّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فقد ورد أنَّ عمرو بن العاص رضي الله عنه سأل النبي ﷺ عن أحبِّ الناس إليه من الرجال، فقال له: أبو بكر، فلمَّا سأله: ثمَّ مَنْ؟ قال: عمر

هذا الحبُّ كان ممزوجًا بأدبٍ من آداب الحبِّ في الإسلام، وهو مراعاة مشاعر المحبوب حتى وإنْ كان غائبًا، لقد كان النبي صلى الله وسلم يعلم أنَّ عُمرَ شديد الغيرة، فحرَص على ألَّا يُثير غيرته، وعلَّمنا أعظمَ درس في مراعاة الحبيب والحفاظ على مشاعره، يقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري: "بينا أنا نائم رأيتني في

الجنة، فإذا امرأة تتوضَّأ إلى جانب قصْر، فقلتُ: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر، فذكرتُ غيرته، فولَّيتُ مُدبِرًا، فبكى عمر، وقال: عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أغار؟!"

يا للعجب! النبي ﷺ يولِّي مُدبرًا حين يعلم أنَّ القصر لعُمر رضي الله عنه مراعاةً لمشاعره!

إنَّه القلب المحبُّ الذي يحرص على مشاعر أحبابه حتى في غيابهم، فيبتعد عن كلِّ ما يُسبِّب لهم الضيق حتى في بعادهم.

"ذكَرتُ غيرتك" كلمةٌ تُكتب بماء الذهب على صفحات قلوب المحبِّين؛ ليتذكَّروا أحبابهم في كل كلمة، وكل فعل يصدُر منهم، فتتغلَّف كلماتُهم بالتقوى، وأفعالُهم بالإحسان.

"ذكَرت غيرتك" لو تذكَّرها كلُّ زوجٍ، لعلم أنَّه من الإحسان أنْ يُراعي شعورَ زوجته في حضورها وغيابها؛ فلا يستفيض في الحديث مع النساء دون داعٍ، ولا يفتح الأبواب لحوارات بلا مبرِّرٍ حتى وإنْ لم يرَ من زوجته بوادرَ الغيرة؛ لأنَّها بشرٌ، لها قلبٌ يحبُّ ويغارُ ويتألَّمُ، ولأنَّه يعلم أنَّ معظم النساء في طَبْعهن الغيرة على مَنْ أحبَبْن حتى وإنْ لم يُظهرْنَ ذلك.

"ذكرت غيرتك" كلمةٌ لو تذكَّرتها كلُّ زوجةٍ مُحبَّةٍ بصِدْقٍ، لفكَّرت ألفَ مرةٍ قبل أن تتصرَّف تصرُّفًا يُثير غيرة وحفيظة زوجها، وهذا ما فعلتْه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها حين كانت تَحمِل النَّوَى الثقيل على رأسها، فمرَّ بها النبي صلى الله عليه وسلم وأناخ بعيره، وعرَض عليها أن تركب شفقةً عليها ورِفقًا بها، ولكنها استحيت، وتذكَّرت غيرة الزبير؛ فامتنعَت عن الركوب حرصًا على مشاعر زوجها.

" ذكرت غيرتك" عبارةٌ لو تذكَّرتْها كلُّ زوجةٍ، لتعاملَتْ بمنتهى التحفُّظ مع غير محارمها من الرجال الذين تتعامل معهم لضروريات الحياة، وما جعلت من غياب زوجها عنها فرصةً للتحرُّر مما تظنُّه قيودًا خانقةً فُرضت عليها.

" ذكرت غيرتك" كلمةٌ لو تذكَّرها الأبناء حين يكبرون، ويؤسِّسون بيتًا جديدًا، وبزوجاتهم يتعلَّقون، لو تذكروها لاهتمُّوا بمشاعر أمهاتهم اللاتي ربما بدأت الغيرة تعصف بقلوبهنَّ حين يرون الأبناء وهم يُدلِّلون زوجاتهم أمام أنظارهن فيتعاملون بحكمةٍ وفِطنةٍ، فيجعلون تدليلهم لزوجاتهم بعيدًا عن أنظار أمهاتهم.

أتدري لماذا أيها الابن البار؟

لأنَّ أمَّكَ تنظر إليكَ على أنَّك صغير الأمس الذي كان لا يستغني عنها بأي حال من الأحوال، وتَراكَ الآن قد كبرتَ وتعلَّقْتَ بغيرها، فتظنُّ أنكَ ما عُدتَ تعبأ ولا تهتمّ

بها، فتأكل الغيرةُ قلبَها، فلتصبِرْ يا بُني، وتذكَّر أنَّها أمُّكَ، وإنْ لم يكن يحقُّ لها بأي حال من الأحوال أنْ تغار عليكَ من زوجتكَ، إلَّا أنَّها طبيعة بعض النساء - هداهنَّ الله - فاحرص على مشاعرها، واجعل تدليلَكَ لزوجتك بينك وبينها؛ ففي هذا تطييبٌ لخاطر أُمِّكَ التي كبرتْ ولم تعد تجد من التدليل ما يروي احتياجها.

وأنتِ أيتها الأمُّ الحنون، أليس ابنُكِ هذا هو نفسه صغير الأمس الذي طالما تمنيتِ أنْ تُشاهدي يومَ زفافه وتسعدي لفرحته؟!

أليس هذا صغيرَ الأمس الذي طالما دعوتِ له في سجودكِ أن يقرَّ اللهُ عينَه بزوجةٍ تُشاركُه رحلةَ الحياة، وتُضيف إلى أيامه بهجةً وسعادةً؟!

علامَ الغيرةُ إذًا؟!

أليس من حقِّه أن يسعد، ويتذوَّق حلاوة الحبِّ مع زوجته؟

لماذا لا تكونين عونًا له للوصول إلى هذه السعادة، وتذوُّق هذه الحلاوة؟!

والله لو أنصف قلبُكِ وعقلُكِ، لسعِد كلَّما رأى السعادة تُظلِّلُ حياة ابنكِ وزوجته، ولتراقصَت الفرحةُ داخل قلبكِ كلما رآه يُدلِّلها أو رآها تُدلِّله.

"ذكرت غيرتك يا عمر" ليتَ كلُّ أب وأم يتذكرونها جيدًا حين يُفرِّقون بين الأبناء فيحابون الذَّكَر على حساب الأنثى أو الأنثى على حساب الذَّكَر، وحين يُدلِّلون

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الصغير، أو الأكثر جمالًا، فيُثيرون حفيظة باقي أبنائهم، ويُشعلون نار الغيرة في قلوبهم؛ فيتسرَّب الحبُّ من بين حناياهم، وتحلُّ الكراهية في أوصالهم، ليت الآباء والأمهات يتذكَّرون أنَّ الطفل يغار، وغيرته قد تُدمِّر نفسيته وعلاقته بإخوته، يغار الطفل من أبسط الأمور؛ لأنَّ عقله لا يمكنه أن يستوعب فكرة عدل الآباء والأمهات بين الأبناء، ولأنَّه يُريد أن يستأثر وحده بمشاعر واهتمام أمهِ وأبيهِ، فأيُّ لمحةٍ ولو بسيطة تُوحي بتفضيل إخوته عليه، تُفسِح المجال للظُّنون المشعِلة لنيران الغيرة لاختراق عقله والسيطرة عليه .

احرِصوا على قلوب أحبابكم، فلا تجرحوها بسهام الغيرة المؤلمة، وأنتَ يا مَنْ تغار، لا تقتل الحبَّ بسهام الشكِّ المسمومة والموجِعة.

ويا كلَّ محبٍّ صادقٍ، تذكَّر القاعدة السادسة من قواعد وفنون الحب في الإسلام:

تذكَّر أن تُراعي مشاعرَ أحبابكَ في حضورهم وغيابهم، أن تتفهَّم ألَمَ غيرتهم، وتذكَّر في الوقت ذاته أن تعتدل أنتَ في غيرتك؛ كي لا تُرهق قلوب أحبَّتِك.

تعلم كيف تُفرِّق بين الغيرة الجميلة والغيرة المرَضية المزعجة، واعلم أنَّه إذا كان القليل من الغيرة يجعل الحبَّ أكثر توهُّجًا، فإن الكثير من إحسان الظنِّ يُضفي على الحياة سعادةً وتألُّقَ

زوجي الحبيب رحيلك يُسعدني

بعض النفوس تفهم الحب بشكل مغلوط؛ تحب فيملأ الحب حياتها قبحاً وتعاسة بدلاً من أن يملأ حياتها جمالاً وسعادة!

تتنازل عن كل شيء فتعيش بالذل والهوان، وتظن أنها بذلك تصون الحب، وتصنع بيتاً يعمه الاستقرار والأمان!

هكذا فهمَتِ الحب، أحبتْ زوجها حتى غرقتْ في بحر حبه، فما عادت تفرق بين الحب والاستعباد، وما عادت تفرق بين الرجولة والاستبداد.

ما رأت من زوجها غير القسوة والظلم، أما السعادة فكانت لحظات. كانت كفتات يُلقيه غنى على بلدة تعيش منذ شهور في أحضان المجاعات.

كانت تحاول إرضاءه، وتضحي بكل ما تستطيعه حتى لو كانت هذه التضحيات على حساب دينها!

يطلب منها أن تتنازل عن زيها الشرعي؛ فتستجيب إرضاء وحباً له، ورغبة في امتلاك قلبه!

يُعجبه أن تتزين حين يصحبها إلى الخارج؛ فتستجيب علَّ قلبه يتعلق بها كما سيطر عليها حبه!

يُعجبه أن تخالط الرجال، وأن تتبسط مع زملائه في الكلام فتفعل من أجل إرضائه، وتجنباً لغضبه!

تنازلت حتى نسيت ما كانت عليه منذ الصغر مِن تقوى وعبادات وطاعات.

كانت تبذل الكثير من أجله، تنسى نفسها ولا تتذكر أيًّا من احتياجاتها، تُرضيها نظرة رضا من زوج عبوس لا يرضيه ما تبذله من تضحيات، وتسعدها كلمة حلوة من لسان لا ينطق إلا بالتوبيخ والنقد والتعليق على أبسط الهفوات.

لم يكن يرى فيها إلا القبح، ولم يكن ينعتها سوى بأبشع الصفات، إلى أن جاء اليوم الذي ثارت فيه ثائرته، فأطلق في وجهها صواريخه الهادمة للذات، ووصفها بأنها لا تنتمي لعالم النساء، ثم انهال عليها ضرباً وقذفها بالحذاء، وأخبرها أنه سيتزوج عليها مَنْ هي أفضل منها ومَنْ تنتمي بالفعل لعالم النساء.

هجر البيت ورحل؛ فسقطت فريسة للحزن والاكتئاب.

لم تعد قادرة على مراعاة شؤون صغارها، ولم يعد بإمكانها أن ترى بعينيها أي لون إيجابي للحياة.

ودت لو عاد إليها لترتمي تحت قدميه معتذرة له عن ذنب لم تقترفه، راجية أن يظل معها ولكنها لا تدري أين هو الآن.

جاءتني تقص عليَّ ما حدث .. تعجبتُ لحالها وقلت لها: لمَ هذا الذل والهوان؟

قالت: أحبه ولا أستطيع التخلي عنه مهما فعل، ومهما أذاقني كؤوس العذاب، ومهما أذل قلبي وجعلنى أعيش الحياة وكأنها لوحة قاتمة السواد؟

قلت لها:

امتلك حبه قلبَك؛ فضحيتِ بحب الله عز وجل من أجله، أنساكِ أن حب الله يجب أن يكون مُقدما على أي حب، وأن طاعة الله يجب أن تكون مُقدمة على أي طاعة.

أنساك ما افترضه الله عليكِ وما نهاك عنه، فاستحللتِ ما حرمه الله؛ فسُلط عليكِ بسبب ذنوبك واجتراءك على شرع الله.

قالت: أعرف ما تقولين، ولقد كان نتيجة ذلك أن صارت النفس مثقلة بالغم، والقلب مُغلف بسحائب الهم، فما عاد القلب قادرا على التعبد بصفاء، وما عادت النفس تشعر بأي ارتواء.

قلت لها :حرري قلبك من عبوديته لغير الله تأتيك السعادة راغمة وتعيشين حياة مفعمة بالهناء.

إن كنتِ جائعة للحب فللحب منابع عدة يمكنك الارتواء منها؛ فابحثي لنفسك عن منابع أخرى مشروعة تمنحك الإحساس بطعم الحياة.

أعيدي رونق وبريق إيمانك الذي غطاه الثرى منذ سنوات. صفِّي قلبك وطهريه من الران الذي أحاط به، ورديه إلى خالقه وهو مخبت أواب.

اهربي من كل ما يبعدك عن ربك؛ يُقرب الله إليك ما يُسعد قلبك، ويحييه في سعادة وهناء.

إياك أن ترضي بالذل والهوان من أجل كلمة حب من إنسان لا يتقي الله ولا يعرف غير سلوك الجبابرة الطغاة.

لقد كرمك ربك، وأمر من يتعامل معك بأن يتعامل برفق وإحسان؛ فلا ترضي بغير ما ارتضاه لك الله بديلاً، ولا تجعلي قلبك لغير الله عبدا ذليلاً.

ضعي دوماً نصب عينيك أنَّ الحب الحقيقي هو ذلك الحب الذي يقربك للجنة ويجعلك أكثر طاعة لله.

الحب الحقيقي أنْ تُبنى حياتك مع محبوبك على أعمدة الاستسلام لأوامر الله.

إن كان زوجك تركك ورحل وهو مَنْ يُبعدك عن ربك ويجعلك تتجرئين على انتهاك حدوده فأهلا بهذا الرحيل، وأهلاً بحياة بلا زوج يحارب شرع الله.

عودي بقلبك إلى الله ولا تجعلي شغلك الشاغل حالياً كيف تُعيدين زوجك إلى حياتك من جديد، بل اجعلي شغلك الشاغل كيف تعيدين قلبك إلى صفائه وكيف تُفرغينه لله.

وأنت في طريق كفاحك لاسترداد قلبك تذكري القاعدة السابعة من قواعد وفنون الحب في الإسلام:

تذكري أنَّ القلوب بين أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وأننا حين نتقي الله يسخر لنا قلوب عباده، وحين نعصيه يصبح ما نعصيه بسببه هو أكثر ما يشقينا في هذه الحياة.

تذكري أنَّ الحب الحقيقي هو ما يقربك لله لا ما يبعدك عنه، وأنَّ الحب الحقيقي هو ما يمنحك الإحساس بآدميتك لا ما يسلب منك كرامتك وإنسانيتك ويجعلك في مصاف المذلولين لغير الله.

أبي لا يحبني

هي طفلة تخطَّت العاشرة من عمرها بقليل، ولكن حين تسمع كلماتها تظن أنك تحادث عجوزاً في السبعين!

جلست تحدثني عن بعض شوؤن حياتها، ونبرة طفولية تعتلي صوتها، ولكنها نبرة ممزوجة بشيخوخة تبعث في السامع مشاعر الحزن والألم على ما ألمَّ بها.

تحمل وجهاً طفولياً يعلوه الحزن والعبوس، يخبرك أن صاحبته تمتلك قلباً تجرع مر الكؤوس.

قالت لي بصوت ممزوج بالحزن:

أبي لا يُحبني أنا وإخوتي، تُرى لماذا لا يحبنا؟!

حاولت التخفيف عنها فأنا أعرف ظروف حياتها، رغبت في أن أعيد إليها الإحساس بالأمان، وأشعرها بحب أبيها لها، فردت على كلامي بكل قوة ويقين: بل هو لا يحبنا، أنا أعرف ذلك وأثق فيما أشعر به .

لو كان يحبنا لجلس معنا كما يجلس مع أبنائه من زوجته الأخرى، إنه يقضي معهم الأسبوع بأكمله ويزورنا فقط في نهاية الأسبوع، وربما تمر بعض الأسابيع ولا يزورنا.

بدأ لساني في التحرك للتخفيف عنها، ولكنها لم تترك لي الفرصة لأبدأ الحديث،

واستطردتْ قائلة :

حتى اليوم الذي يزورنا فيه يقضيه بين أحضان النوم، أو مع هاتفه على صفحات الفيسبوك، أو وهو يحادث زوجته الأخرى وأبناءه منها بصوت خفيض كي لا نسمعه.

هو لا يحبنا وإن أردتِ المزيد من الأدلة فإليك المزيد:

هو ينفق عليهم الكثير والكثير، ولقد رأينا ذلك مرارا بأعيننا، أما نحن فلا يعطينا سوى القليل، ويعتمد على أمنا التي تنفق علينا مرتبها الضئيل، أمنا التي تخرج للعمل منذ السابعة صباحا حتى السابعة مساء ولا يكفي مرتبها سوى لأقل الضروريات، وهو يعرف ذلك ويراه بعينيه ولا يهتم لحالنا، ولا يشفق علينا مما ألمَّ بنا، فهل هذا هو حب الآباء الصادقين في حبهم؟!

كانت ظلال الدموع منقوشة في عينيها ولكنها تأبى الخروج، وكأنها تقول بقوة وثبات:

من تسبب في كسر قلبي لا يستحق دمع عيني.

أكملتْ حديثها قائلة:

أنا على يقين أنه لا يحبنا؛ فالحب الحقيقي يظهر في تصرفات المحبين، وتصرفات

أبي لا تحمل أي معنى من معاني الحب والحنين.

أبي يدَّعي أنَّه يحبنا بينما الحب الحقيقي سنشعر به في حضن قوي وحنون يضمنا كلما قابلناه.

الحب الحقيقي سنتقبله منه حينما يكون هناك عدل بين الأبناء.

عندما نرى أبانا يشتاق لرؤيانا.

حينما يسعى لسد حاجاتنا قدر استطاعته، فلا نضطر لارتداء الملابس القديمة التي لا تصلح لأعمارنا ولا لأجسادنا بينما يرتدي أبناؤه من زوجته الأخرى الغالي والثمين من الملابس.

الحب الحقيقي نستطيع أن نستشعره حينما نرى والدنا قد أعزَّ أمنا، وصان كرامتها، وحفظها من السقوط في دوامة العمل المميت من أجل سداد إيجار منزلنا وتوفير قوت يومنا.

الحب الحقيقي أن يغلق الآباء هواتفهم ويجلسوا بعض الوقت مع أبنائهم، ولا يبخلوا عليهم بأوقات جميلة تُشعرهم باهتمامهم.

هذا هو الحب الذي نعرفه نحن الأطفال، أما الحب الذي يعرفه بعض الكبار فهو حب لا يعنينا؛ لأنَّه حب لا يُشبع قلوبنا ولا يروينا.

لو أحب الآباء أبناءهم بصدق لما ضيَّعوهم، ولا من أبسط احتياجاتهم النفسية حرموهم.

استمعتُ إليها وقلبي يتمزق حزناً عليها وعلى ما وصلتْ إليه؛ فاحتضنتها برفق، وودت لو أني أستطيع احتضان مشاعرها ومسح غبار الحزن عنها، ولكن هيهات أن يعوضها حضنى عن حضن أبيها، أو تعوضها كلماتي عن فقدان حب أبيها.

تحدثنا كثيراً، وخففت عنها قدر استطاعتي ثم تركتنى وذهبتْ لحالها، ولكن كلماتها ظلت تحاصر عقلي؛ وتطعن بسكين الحزن قلبي، فإذا بقلمي يرتجف خوفاً عليها وعلى أمثالها، ويهرول ليسطِّرَ لكم ما حدث بيني وبينها؛ علَّه يُنبه قلوباً لا تنتبه لمشاعر صغارها؛ فكم من آباء وأمهات حرموا أبناءهم الحب والحنان، وكم من آباء وأمهات غرسوا خنجر الحزن في قلوب الأبناء.

أكتب إليكم هذا الحديث الذي يملأ القلب شجوناً؛ لأذكركم بالقاعدة الثامنة من قواعد وفنون الحب في الإسلام والتي تناشدكم وتقول لكم:

إذا كنتم تحبون أبناءكم حباً حقيقياً فليكن حباً إسلامياً قائماً على العدل الذي يأمر به الله عز وجل" :إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ."

العدل الذي أرشدنا إليه النبي ﷺ فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أنَّه قَالَ: تَصَدَّقَ عَلَيَّ أَبِي بِبَعْضِ مَالِهِ، فَقَالَتْ أُمِّي عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَانْطَلَقَ أَبِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُشْهِدَهُ عَلَى صَدَقَتِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفَعَلْتَ هَذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: "اتَّقُوا اللهَ، وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ"، فَرَجَعَ أَبِي، فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ.

ليكن حبكم لأبنائكم حباً إسلامياً، والحب الإسلامي يتحقق حين نتأمل كيف كان النبي ﷺ يعامل حفيديه الحسن والحسين، فنقتدي به وبهديه، وحين نتأمل سيرته فنرى كيف كانت مسؤولياته ﷺ ومع ذلك يجد الوقت ليداعب حفيديه، ويُدخل السرور إلى قلبيهما، ويجد الوقت ليعلمهما ويؤدبهما ويحاورهما، فنسير على نهجه.

حب الأبناء في الإسلام معناه ألا تُلهيك شؤون حياتك مهما عظمتْ عن أبنائك، وأن تفرغ لهم جزءًا أساسياً مِن حياتك، وأن تحاول دائماً أنْ تسعدهم بما لا يشقيهم أو يفسدهم.

جمال الراحلين

كم مِن حبيب تودَّد إلينا، وعاش راغباً في القرب مِنَّا، وأغدق علينا بطيب تعامله، فما كان مِنَّا إلا أن تعاملنا معه بقسوة وغلظة، أو بلامبالاة مصحوبة بالجفوة، وربما تعاملنا معه بحب كبير ولكننا حملنَّاه مِن الضغوط النفسية مالا يحتمل ولا يطيق، حتى إذا رأى الحمل قد أثقل كاهل قلبه، وأرَّق هدوء نفسه، وجعله يعيش متأرجحاً بين تقلبات معاملة حبيبه له، إذا به يجمع أمتعة قلبه ومشاعره تجاه محبوبه ويقرر الرحيل، أو ربما يجيء الرحيل بقدرٍ وأجلٍ مكتوبٍ؛ فإذا بضمير الحبيب الذي طالما أثقل كاهل محبوبه يستيقظ مِن سُباته العميق؛ فيكتشف ما كان في محبوبه مِن طيبِ خلقٍ له حُسن وبريق، فيحزن القلب ويغتم، ولا يدري أيحزن على فراق قلب ما رأى منه غير كل جميل، أم يحزن على تلك السهام التي غرسها في قلب هذا الحبيب!

وهذا ما حدث معه بالفعل فقد كانت زوجته تحبه بكل كيانها فهو الرجل الذي تفتحت بزواجها منه أزهار أنوثتها، وهو الحبيب الذي تمنت لو قدَّمت له كل ما تستطيع ليصير عنها راضياً وفيها راغباً، ولكنه كان ينأى بمشاعره عنها، فيقسو عليها حيناً، ويتجاهلها حيناً، ويسرد قائمة بعيوبها أحياناً أخرى.

لم يكن يُشعرها سوى بأنَّها السواد الذي غلَّف نهاره، والعذاب الذي أرَّق مضجعه في ليله.

تحملَت الصد، وحرمانها من الود، وقسوتة التي أنهكت النفس، وحين اشتد أيذاؤه لها وفاق الحد قررت الرحيل وما عادت تعبأ بحب يسكن القلب.

تركته وبدأت في طقوس الرحيل؛ فإذا به يبدأ في ممارسة أساليب التحقير، ويعدها بأنها لن تجد من يلتفت إليها، ويهددها بأنَّه سيتزوج من تفوقها حسناً وجمالاً.

مرت الأيام فتزوج بالفعل من تفُوقها حسناً وجمالاً ولكنها أذاقته من الشقاء ألواناً وأشكالاً، سقته بقبح معاملتها مر الألم فتجرع معها كؤوس الندم، ثم صار يبكي على مَن كانت له سكناً وحناناً، وكان لها شقاء وعذاباً.

تمنى لو رضيت بأن تعود إليه، ولكن هيهات فقد بدأت تحيا حياة جديدة عوضَّها الله فيها عن كل ما تجرعته من عذاب، أما هو فقد عاش غارقاً في بحر الندم، ولكن هل يفيد الندم والبكاء وتذكر جمال الراحلين بعد فوات الأوان؟!

ألم يكن يضع نصب عينيه أنَّ من جميل العشرة ألا يكره مؤمن مؤمنة فإن رأى منها خصلة لا ترضيه فسيرى فيها إن أنصف وعدل من الخير وجمال الطبع صفات وصفات ترضيه؟!

www.alukah.net

ألم يكن يدرك أنَّه هو أيضاً به عيوب تتحملها الزوجة وتغض الطرف عنها حفاظا على العشرة، وإبقاء للمودة؟

ألم يكن يتذكر قول الله عز وجل: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾. [النساء: 19].

وهناك في بيت آخر تتكرر المأساة بشكل مختلف:

ففي زاوية البيت تتقوقع أرملة على نفسها، تبكي بالدمع الثخين على زوج طالما تحمَّل نيران ثوراتها، وشدة غضبها، وشديد تقصيرها، تحمَّل زوجة لا تعرف من الحياة سوى الشكوى وعدم الاعتراف بأي جميل.

كانت تخرق أذنيه ليل نهار بمقارنته بزوج فلانة وفلانة؛ فيهرب منها بالانغماس في عمله، والعوده ليلاً كي لا يصم أذنيه نعيقها المزعج.

الآن وبعد أن رحل عن الحياة بدأت تستدعي شريط الذكريات لتكتشف كم كان زوجها حنوناً وعطوفاً، وكم كان وفياً ورؤوفاً!

بكت وقالت: ليتنى أدركت قيمته وهو على قيد الحياة لكنت تمتعت معه ومتعته بجمال الحياة!

شبكة الألوكة - قسم الكتب

في بيت ثالث التفَّ الأبناء وبدؤوا يتذكرون أمهم التي تركوها بالشهور دون أدنى اهتمام، كانوا لا يسألون عنها ولا يتذكرونها بزيارة خفيفة بحجة انشغالهم وهي التي كانت قلباً يحوي كل العطف لهم، ويداً تخفف ألمهم، وعقلاً يرشدهم لما فيه الخير لهم. كانت طاقة تدفعهم للأمام في صغرهم، ومعيناً لهم في كبرهم.

تذكَّروا حبها وكيف أنَّه كان حباً نقياً لا تخالطه شوائب الدنيا مثلما خالطت تلك الشوائب حبهم لها.

الآن وبعد أن رحلت عن الحياة بدأت عقولهم تستدعي الذكريات الطيبة؟!

الآن يبكون أمهم بعد الرحيل ويتمنون لو عاد الزمن إلى الوراء قليلاً كي تتمتع ببرهم؟!

ولكن هيهات فمن رحل لا يعود من جديد؛ فهل أدرك الجاحدون ما يفعلونه بأحبتهم من ظلم شديد؟

في بيوت كثيرة نرى هذه الأمثلة، فنفجع بعقوق والدين، وظلم وتنازع شديد بين زوجين، وحصار خانق وسوء ظن وعدم وفاء بالعهود بين صديقين، حتى إذا رحل الحبيب عن محبوبه إذا بالآخر يعض أصابع الندم، ويتمنى لو عاد الزمن للوراء ليتمتع بمحبوبه من جديد،، ولكن الزمن لا يعود، والمحبون حين يرحلون عن حياة

من أرَّقوهم ربما لا يمكنهم العودة مهما حدث؛ فالموت لا يعيد الأحبة، أما الأحباء الباقون على قيد الحياة فربما صارت قلوبهم أضعف من احتمال المزيد من الألم، وربما صارت نفوسهم في حاجة إلى الاستمتاع بجمال السكينة وهدوء وصفاء العلاقات فلا يمكنهم العودة لعلاقة كلها لوم وعتاب، وشد وجذب وكثرة مشاحنات؛ فحاولوا الاحتفاظ بأحبابكم قبل أن ترحلوا عنهم أو يرحلون عن حياتكم.

متعوهم بجميل حبكم وجميل خلقكم، وتذكروا القاعدة التاسعة من قواعد وفنون الحب في الإسلام:

تذكروا أن حسن العشرة وحسن الخلق من أقوى ما يزيد المحبة توهجاً، فإذا كان حسن الخلق قد جعل صاحبه من أقرب الناس مجلساً يوم القيامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فمؤكد أنَّه يقرب الأحباب من قلوب أحبابهم في الدنيا، ويجعل الحياة بينهم هادئة هانئة؛ فلنحسن معاملة أحبابنا الطيبين؛ فالطيبون جواهر يجب أن تصان وتُعامل معاملة الجواهر النفيسة لا معاملة المعادن الرخيصة.

تذكروا كذلك أنَّ الأيام ستمر، وأننا حتماً سنفارق من نحب أو هم سيفارقوننا، فلنترك ذكرى جميلة في قلوب أحبتنا حتى يجمعنا اللقاء من جديد في جنات الخلد بإذن الله.

تعلَّم كيف تحب

هل سمِعتَ مِن قبلُ صوتًا يناديك ويستعطفك، ويَستجديك لأن تنتبهَ إلى صديقة أيامك ورفيقة دَربِ حياتك؟

يُخبرك أنَّ سنوات طويلة مرَّت وأنت تُهملها وتَضعها في دائرة النسيان، ويعاتبك لأنَّك لم تنتبه إلى أهم احتياجاتها، ويُذكِّرك أنَّك كثيرًا ما كنتَ تَعُقُّها؟

يجعلك أنينُ هذا الصوت يُراجع حساباتك؛ لتكتشف أنَّك بالفعل قد شغلتْك عنها الحياة بضغوطها؟

يأتيك صوت ضميرك؛ ليوقظَ داخلك مشاعر انْطفأ بريقُها، حين يقفز إلى مسامعك قائلًا: إلى متى ستَظَلُّ بعيدًا عنها هكذا؟ إلى متى ستُهملها وتجعلها في ذيل القائمة؟

ألا تشعُر بها؟

ألا ترى علامات الحيرة والحزن على وجهها؟

ألا تسمَع صوت آنَّات قلبها الحزين وهو يستعطفك قائلًا: متى ستروي بساتيني الظامئة، وتعيد النضارة إلى ورودي الذابلة؟!

متى ستتوقف عن توجيه رَصاصات إهمالك ونقدك إليَّ؟!

ربما يتبادر إلى ذهنك الآن أنَّ الذي يوجِّه إليك هذه الرسالة أحدُ والديك أو شريكُ حياتك، أو أحد أبنائك، وجميل جدًّا أن نكتشف مواضع التقصير في علاقتنا بالآخرين، فنُهرول لنبدأ معهم صفحة جديدة، كلها وُدٌّ وحب وإيجابية، واهتمام عميق، ولكنني الآن لا أتحدَّث عن كل هؤلاء، إنني أتحدَّث عنك أنتَ، عن نفسك التي قد تكون أهمَلتَها عن قصدٍ أو دون قصدٍ، نفسك التي قد تكون نسيتَ أنها أحقُّ مَن يستحق البرَّ منك!

أُحدِّثك عن نفسك التي تعامِلُها بطريقة تختلف عن معاملتك للآخرين، فهل أخبرتَني لِمَ تعاملها وكأنها عدو لك، فتُؤرقها بنقدك القاتل المستمر لها، وتُغرقها في ظلمات بحار اليأس؟!

لماذا حين يفشَل الآخرون تُهرول لتَمُدَّ لهم يدَ العون، وتُقيلهم قدرَ استطاعتك مِن عَثرتهم، وتأخذ بأيديهم إلى طريق النجاح، بينما توجِّه إلى نفسك رَصاصَ النقد القاتل إذا ما فشِلت ذات يوم؟!

لماذا تتعامل مع ذاتك بمنطق المعايير المزدوجة، فلا تعاملها كما تعامِل الآخرين بحبٍّ ورُقي، فتُقيلها مِن عَثرتها إذا سقَطت، وتَشُدُّ مِن أَزْرِها إذا ضعُفت، وتَمدَح إيجابياتها حين ترى منها أو فيها جميلًا؟!

رِفقًا بها، فلا تكن أنت ونوائبُ الأيام عليها، رفقًا بها فهي تحتاج منك أنْ تهتمَّ بها وتَحنوَ عليها!

تعلَّم كيف تُحبها حبًّا جميلًا، حبًّا يجعلك تراها بعيون إيجابية، ويجعلك تُدرك أننا في رحلة الحياة في عملية بناء للذات مستمرة، ومِن الطبيعي أنْ يَعتريَ القائمَ بهذا البناء بعضُ الضَّعف أحيانًا، وبعضُ الفتور أحيانًا، وحينئذ يجب على البنَّاء أنْ يسارعَ ويقوِّيَ الضَّعف الذي يعتري النفس قبلَ أنْ يَضيعَ في متاهات اليأس.

إنْ كان قد أصابك هذا الضَّعف، فحاوِل قدرَ استطاعتك أنْ تنهضَ مِن عَثرتك، وتعمَلَ على ترميم ذاتك، واكتشاف كنوزها وإخراجها للنور، ومهما بدَت هذه الكنوز في نظرك ضئيلةً، فاسْعَدْ بها، واسْعَ إلى تطويرها؛ فالعبرة ليست بمدى عظمة الإمكانات والقدرات، بل بمدى ذكائنا في توظيفها واستغلالها.

اعمَل على تزكية نفسك، وتذكَّر أنَّ ديننا يوجِّهنا لأن نوفِّر لأنفسنا سبلَ السعادة والنجاح، بأن نُعلِّمَها فقه الأولويات، وأن نُدرِّبَها على إدارة الأوقات، وأنْ نَغرسَ فيها الإيمانَ والصبرَ والرضا عند نزول الشدائد والمُلِمَّات، وأنْ نُدرِّبَها على كل ما يرتقي بها؛ تطبيقًا لقول الله عز وجل: ﴿ اقْرَأْ ﴾ [العلق:1].

وتذكَّر القاعدة العاشرة من قواعد وفنون الحب في الإسلام، تلك التي تخبرنا أنَّ الله عز وجل قد أثنى على مَن يزكِّي نفسه، ووعَده بالفلاح؛ يقول الله عزو جل: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ [الشمس: 9].

وتذكَّر أيضًا أنه لن يستطيع أن يزكِّي نفسه ويأخذ بها إلى طريق السعادة الحقيقية، إلا مَن كان بها مهتمًّا، وعليها عطوفًا حنونًا، فتعلَّم كيف تَحنو عليها!

تعلَّم كيف تُحب ذاتك حبًّا إيجابيًّا، يجعلك تَنثرُ لها زهورَ العناية؛ لتسير بها في طرق الفضيلة، وتنأى بها عن السقوط في مستنقع الرَّذيلة، وتُهيِّئَ لها سُبلَ الفلاح في الدنيا والآخرة، فتُعلِّمها كيف تَعبُدُ الله حقَّ عبادته، وكيف تُرضيه وتَتقيه، وتفتَح لها أبواب الطاعات، وتُجنِّبها المحرَّمات، فتَمنَحها السكينةَ والاستقرار.

قُمْ ولَمْلِمْ شتاتَ نفسك، وتصالَحْ معها، وابدَأ صفحة جديدة تتَّسم بالعدل مع الذات، ورفض المعايير المزدوجة في تقييم البشر، وتعلَّم كيف تَحنو على نفسك، وتفتَح لها أبواب الأمل، وعامِلها كما يُحب الله أن يرى منك، وتذكَّر أنَّ الحب الإيجابي للذات عبادةٌ نؤجَر عليها، فأحْبِبْ ذاتك هذا الحبَّ، تَنْعَمْ بكل سعادة وخيرٍ.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، لك الحمد يارب في الأولين والآخرين وفي الملأ الأعلى إلى يوم الدين.

اللهم هذا جهد مقل فإنْ كان خيرا فهو منك، وإنْ كان غير ذلك فهو مِن نفسي ومِن الشيطان فاغفر لي وارحمنى.

رضا الجنيدي

للتواصل مع الكاتبة

البريد الالكتروني

redagenedy@yahoo.com

* * *

قناة الكاتبة على التلجرام

https://telegram.me/redaalgeneedy

* * *

صفحة الفيس بوك

https://m.facebook.com/Reda.Geneedy

* * *

www.alukah.net

الفهرس

العنوان	رقم الصفحة
إهداء	4
مقدمة	5
أمطار الحب	6
سحر اللمسات	13
إيجابية الحب	20
لا تكسر العود	32
حتى نعود أحبابا	33
ذكرت غيرتك فوليت	39
زوجي الحبيب يسعدني رحيلك	45
أبي لا يحبنى	50
جمال الراحلين	56

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تعلَّم كيف تحب	62
خاتمة	65
التواصل مع الكاتبة	66
الفهرس	67

هذا الكتاب منشور في
شبكة الألوكة
www.alukah.net